جدلية العولمة بين الاختيار والرفض

عبد الجليل كاظم الوالي

أستاذ الفلسفة، كلية الآداب، جامعة صنعاء.

منذ نهاية القرن العشرين والعالم يتفاعل مع ظاهرة جديدة، لم يألفها في السابق، أو أنها كانت موجودة وغلفت بأطر جديدة. وتحت تسمية حديثة، وبأطر هذه الظاهرة يتحدث الكثيرون عن تسهيل حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول، وعن أرض بلا حدود، وسوق بلا حدود وثقافة بلا حدود، أي لا وطن ولا دولة ولا أمة. ويذهب آخرون إلى التبشير بتجميع البشر، عبر الأقمار الصناعية وشبكات الانترنت والمواصلات السريعة، بعدما عجزت العقائد والنظريات والأفكار عن تحقيق ذلك خلال مسيرة الإنسانية الطويلة.

إذن هي الظاهرة المعجزة التي أطلق عليها العولمة، وشاعت هذه اللفظة بالعربية على الرغم من أن ترجمتها بالكونية هي أدق من العولمة. ووظفت العولمة نتائج العلم في خدمة مصالحها وسهولة انتشارها، ولم يكتف صناعها بالعلم ونتائجه، بل سخروا القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية من أجل السيطرة والاستغلال.

ووفقاً لهذا وذاك تتبادر إلى الذهن مجموعة أسئلة تحتاج إلى أجوبة، منها:

- ما الشيء الذي يتم عولمته ولمصلحة من؟
- كيف تتم عملية سهولة حركة المعلومات والسلع، ولمن؟ ولصالح من؟
- من يقود العولمة؟ هل هي أمريكا؟ أم أن العولمة هي ظاهرة حالها حال شبكة الانترنت، تتوسع وتصبح أكثر انتشاراً؟
- هل العولمة وسيلة للسيطرة على العالم؟
- هل يحق لنا أن نعد الفاشية والنازية والشيوعية والليبرالية مراحل في مسيرة العولمة؟

ـ هل نصدق ما قاله فوكوياما من أن الخصخصة والتجارة الحرة هي جواز المرور إلى العالم الجديد؟

ـ هل سيتمتع بخدمات الانترنت من لم يمتلك القوت؟

لذا كان بحثنا هذا ما هو إلا محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة، ومساهمة لتوضيح جوهر وطبيعة ما يسمى بالعولمة. وقد ابتدأنا بالمفهوم والتعريف، وأصول العولمة وصورها المتمثلة بـ:

العولمة الثقافية، العولمة الاتصالية، العولمة الاقتصادية، والعولمة السياسية.

«ان العولمة الآن هي أشبه بالسوط الذي يوجه إلى ظهر من يخرج عن بيت الطاعة من الحكومات الوطنية...»

ومن ثم تحديد أخطارها ونتائجها والكيفية التي تتم فيها مواجهة العولمة، لكي نصل إلى طرح سؤال على قارئنا، هو ألا يتفق معنا، بعد أن يقرأ البحث، على أن العولمة الآن، هي أشبه بالسوط الذي يوجه إلى ظهر من يخرج عن بيت الطاعة من الحكومات الوطنية، وتحت تسميات في نظامها الجديد، حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، حقوق المرأة، حقوق الشعب؟. ويجب ألا ننسى أن غالبية البحوث التي تقدم الآن تحت هذه العناوين تؤدي في نتيجتها النهائية إلى القضاء على وحدة الوطن ووحدة الثقافة ووحدة التاريخ ووحدة المصير.

أولاً: العولمة، المفهوم والتعريف

تعود لفظة عولمة في أصلها إلى الكلمة الإنكليزية (Global) والتي تعني عالمي أو دولي أو كروي، وترتبط في أحيان كثيرة بالقرية، ويصبح معنى المصطلح: القرية العالمية (Global Village)، أي أن العالم عبارة عن قرية كونية واحدة. أما المصطلح الإنكليزي «Globalization» فيترجم إلى الكوكبة أو الكونية أو العولمة، ويتصل بها فعلٌ «عولم» على صفة «فَوعل». وكانت الغلبة لكلمة العولمة لشيوع استخدامها[1]، بينما يرى بعض الباحثين أن ترجمة «Globalization» إلى عولمة أو كونية، ما هي إلا اجتهاد من بعض المفكرين العرب، أرادوا من خلاله إيجاد مكان لهم في المركز، فكأنهم هامش يبحث عن مكان له في المركز، ولو في حوار على الرغم من إخفاق أغلب الحوارات على مدى التاريخ المعاصر، كالحوار بين الشمال والجنوب، والحوار العربي ـ الأوروبي وحوار الشرق والغرب، (وأصبح كل من يدافع عن الخصوصية والأصالة والهوية الثقافية والاستقلال

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر مداخلة أحمد صدقي الدجاني ضمن المناقشات التي دارت حول بحث: السيد يسين، «في مفهوم العولمة»، ورقة قدمت إلى: **العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، تحرير أسامة أمين الخولي (بيروت: المركز، ١٩٩٨)، ص ٦٢ ـ ٦٣.

الحضاري رجعياً، ظلامياً، أصولياً، إرهابياً، متخلفاً، ماضوياً، سلفياً، بترولياً، خليجياً، مع أن الدفاع عن العولمة يأتي من الخليج وأموال النفط التي تساهم في اقتصاد السوق وشراء أسهم الشركات الأجنبية)[٢]. على أنني لا أتفق مع هذا الرأي، وأرى بأن استخدام لفظة العولمة أكثر من الكوكبة أو الكونية، يعود إلى كثرة تداولها وشيوع استخدامها عند مختلف الشرائح الاجتماعية. ثم إن لفظة العولمة ارتبطت بمجالات حياتية أخرى، كالسياسة، وسميت بالعولمة السياسية، أي النفوذ السياسي العالمي، وارتبطت أيضاً بالاقتصاد والإعلام والثقافة، وسميت بالعولمة الاقتصادية، والعولمة الاتصالية، والعولمة الثقافية، وأسست مؤسسات متنوعة ومختلفة في كل شكل من هذه الأشكال. لذا فهي على ما يبدو موضع اختلاف بين الباحثين رفضاً أو قبولاً، وانبنى على هذا الاختلاف اختلاف آخر، يكمن في تعريفها. وحسب ما أعتقد فإن الاختلاف في التعريف يشابه إلى حد ما اختلاف الفلاسفة فيما بينهم في تعريف الفلسفة، فكل فيلسوف عرف الفلسفة تعريفاً ينسجم وطبيعة النظام الفلسفي الذي يضعه. وهذا هو حال الفلسفة منذ أن وجدت إلى الآن. فإن كان الفيلسوف أخلاقياً كان تعريفه أخلاقياً، وإن كان جمالياً أو معرفياً أو منطقياً أو مادياً أو مثالياً، كان تعريفه جمالياً أو معرفياً أو منطقياً أو مادياً أو مثالياً، لذا فالعولمة مشابهة للفلسفة من هذه الناحية، أي من ناحية اختلاف التعريف بين مفكريها، فإن كانوا سياسيين كان التعريف سياسياً، أو كانوا اقتصاديين أو إعلاميين أو ثقافيين، كانت تعريفاتهم اقتصادية أو إعلامية أو ثقافية. وبما أن إحدى مشكلات العولمة تكمن في تعريفها، فإن هذه التعريفات من الممكن أن تصنف حسب أبعادها التي تعبر عنها، فالتي تركز على البعد الاقتصادي، يعبر أصحابها عن اتجاهات مؤسسات اقتصادية عالمية لم تكن موجودة في السابق، أما التي تركز على البعد الثقافي فهي تعد الثقافة سلعة، والتي تركز على البعد السياسي، تعنى بالتركيز على أحادية السياسة العالمية الحالية، والتي تركز على البعد الاجتماعي، يبرز فيها المجتمع المدني العالمي وعليه فإنها تصنف في أربع مجموعات هي:

الاقتصادية، الثقافية، السياسية، والاجتماعية.

ثانياً: أصول العولمة

اختلفت آراء الباحثين بشأن تحقيب العولمة، مثلما هو الحال في اختلافهم من ناحية تعريفها، ويمكن أن نقسم اتجاهاتهم على المحاور التالية:

المحور الأول: يميل أصحابه إلى الاعتماد على الناحية التاريخية، ومتابعة الإنسان مذ كان عبداً للطبيعة، يعيش على ما تجود به من ثمار أو نبات، ثم انتقاله إلى مرحلة الصيد والقنص، ومن ثم الزراعة وبعدها الصناعة، وتوجت هذه المراحل بالمعرفة العلمية والتنظيمية التي قللت من أهمية الموارد الطبيعية، وحولت الاقتصاد العيني إلى اقتصاد

---

(٢) حسن حنفي، «الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية،» **الفكر السياسي** (اتحاد الكتاب العرب، دمشق)، السنة ٢، العددان ٤ ـ ٥ (١٩٩٨ ـ ١٩٩٩)، ص ٢٤٢ ـ ٢٥٣.

رمزي، وفي هذه المرحلة ظهرت بوادر العولمة، أي أن ظهورها اقترن بالتطور الحاصل «في طبيعة الإنتاج وتراجع أهمية الموارد الطبيعية وظهور الاقتصاد الرمزي وغلبة أشكال الثورة المالية»[٣]، ويمثل هذا الرأي حازم الببلاوي.

المحور الثاني: يعتمد فيه أصحاب هذا الاتجاه على رأي رولاند روبرتسون، والذي يستعرضه السيد يسين، إذ ان روبرتسون صاغ نموذج تطور العولمة مقسماً على المراحل الخمس:

- المرحلة الجنينية التي تمتد ما بين القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر.
- مرحلة النشوء، وتبدأ من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام ١٨٧٠ وما بعده.
- مرحلة الانطلاق استمرت من عام ١٨٧٠ إلى العشرينيات من القرن العشرين.
- الصراع من أجل الهيمنة، هذه المرحلة تمتد ما بين العشرينيات حتى منتصف الستينيات.
- مرحلة عدم اليقين، بدأت منذ الستينيات وأدت إلى اتجاهات وأزمات في التسعينيات.

ولكل مرحلة من هذه المراحل سمات مميزة، يبدأها روبرتسون من ظهور المجتمعات القومية، إلى تبلور مفاهيم العلاقات الدولية، وحدوث الحرب العالمية الأولى ونشأة عصبة الأمم، وإلقاء القنبلة الذرية على اليابان، ومن ثم هبوط الإنسان على القمر، ونهاية الحرب الباردة[٤].

المحور الثالث: يرى أصحابه بأن ظهور العولمة يرتبط بانتعاش الاقتصاد الأوروبي في نهاية الخمسينيات، وسببه إزالة القيود النقدية على المدفوعات بالدولار، وزيادة التجارة الدولية، إذ زاد حجم التبادل التجاري بين عامي ١٩٥٠ و١٩٧٣ بنسبة ٩,٤ بالمئة، لكن مرحلة الثمانينيات زادت تدفق الاستثمارات الأجنبية بنسبة ٢٠٠ بالمئة. وتعود زيادة الاستثمارات الأجنبية إلى إزالة القيود على حركة الرساميل، وقيام بعض الدول النامية ودول الكتلة الاشتراكية بإزالة القيود على المدفوعات الخارجية. وإزالة القيود هذه ساهمت في تحسين نسبة التجارة الدولية، وهذا هو السبب الأول لظهور العولمة. أما السبب الثاني فهو تبني الدول الرأسمالية مبدأ الخصخصة، وفرضه من قبل تلك الدول على الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث. والسبب الأخير لظهور العولمة هو تفاقم المضاربات المالية بالعملات القابلة للتحويل، وبلغ الحجم السنوي لهذه العملات عام

---

(٣) انظر تعقيب حازم الببلاوي على بحث: اسماعيل صبري عبد الله، «العرب والعولمة: العولمة والاقتصاد والتنمية العربية (العرب والكوكبة)،» ورقة قدمت إلى: **العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ص ٣٨٩.

(٤) أنظر: السيد يسين، «في مفهوم العولمة،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٠، العدد ٢٢٨ (شباط/فبراير ١٩٩٨)، ص ٩ - ١١، معتمداً فيها على دراسة روبرتسون: تخطيط الوضع الكوني، العولمة باعتبارها المفهوم الرئيسي، في: Mike Featherstone, ed., *Global Culture: Nationalism, Globalization, and Modernity: A Theory, Culture and Society Special Issue* (London; Newbury Park: Sage Publications, 1990), pp. 15-30.

١٩٩٥ حوالى ٧٣ مرة حجم الصادرات الدولية من سلع وخدمات في ذلك العام[٥]، هذه الأموال يسميها اللاعبون الرئيسيون الذين يحركونها باسم الاستثمارات المصرفية. ويرى أحمد ثابت بأن هذه الأموال «تفوق في قيمتها ما لا يقل عن ثلاثين مثلاً لمجموع قيمة التجارة العالمية في السلع والمنتجات المنظورة وغير المنظورة، فإذا كان مجموع قيمة التجارة السلعية على مستوى العالم هو ثلاثة تريليون دولار، فإن كتلة الاستثمارات المصرفية في البورصات والأسهم والسندات وفي النقود الإلكترونية أو بطاقات الائتمان التي يحملها الأفراد بعيداً عن سيطرة أعتى البنوك المركزية في الدول الغربية ذاتها لا تقل عن ١٠٠ تريليون دولار»[٦]. هذه الأموال لا وطن لها، ومن المناسب الإشارة إلى أن هذه الأرقام متضاربة ومختلفة على الرغم من اعتماد الباحثين محمد الأطرش وأحمد ثابت عليها، ولا بد من أن تكون مصادر معلوماتهم ما تنشره المؤسسات الاقتصادية الغربية. وهذا نوع من التضليل تتبعه تلك المؤسسات، من أجل تضخيم حجم العولمة، لكي يصلوا إلى اعتبارها حقيقة لا يمكن الحياد عنها.

العولمة ظاهرة متصلة بمسيرة المجتمعات الإنسانية منذ وجد الإنسان على الأرض وإلى الآن.. وهي ترتبط تحديداً بالجانب السياسي الخاص بإنشاء الامبراطوريات، والذي يعتمد على تطور العلم في تثبيت كيانه!

المحور الرابع: يعتمد أصحابه على ما طرحه جان شولت (J. Sholt) من مجموعة أحداث هي التي مهدت لظهور العولمة، يبدأها من عام ١٨٦٦ وما رافقه من ظهور أول خدمة دولية للتلغراف عبر المحيطات، وتوقيت غرينتش، وظهور الراديو، وانتقال الأموال دون فرض ضرائب، وإطلاق أول قمر صناعي عام ١٩٥٧، مروراً بأول اتصالات دولية عبر الأقمار الصناعية إلى المؤتمرات الدولية للتنمية البشرية، ومن ثم البث عبر الأطباق المقامة على سطوح الأبنية عام ١٩٧٦، وصولاً إلى عام ١٩٧٧ الذي تم فيه ربط كامل من الأنسجة البصرية حول العالم، الأمر الذي سهل عملية استخدام الوسائط المتعددة والمحمولة. ويعتمد السيد أحمد مصطفى عمر على رأي شولت هذا في تبرير كون العولمة ليست أمركة، بدليل أن هذه الحوادث السابقة الذكر، نشأت بعيداً عن رغبة زعيم سياسي، بل إنها نشأت بفعل مجموعة من العوامل والتطورات السياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية التي أفرزتها عقول البشرية عبر مسيرتها الطويلة... وستكون لدينا إجابات واضحة وصريحة على هذا الرأي في ثنايا البحث[٧].

وإزاء هذه الآراء المختلفة بشأن نشأة العولمة، أستطيع القول، بأن العولمة ظاهرة متصلة بمسيرة المجتمعات الإنسانية مذ وجد الإنسان على الأرض وإلى الآن، وتحديداً،

---

(٥) محمد الأطرش، «العرب والعولمة: ما العمل؟،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٠، العدد ٢٢٩ (آذار/مارس ١٩٩٨)، ص ١٠٥.

(٦) أحمد ثابت، «العولمة والخيارات المستقلة،» **المستقبل العربي**، السنة ٢١، العدد ٢٤٠ (شباط/فبراير ١٩٩٩)، ص ٨ ـ ٢١.

(٧) السيد أحمد مصطفى عمر، «إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٣، العدد ٢٥٦ (حزيران/يونيو ٢٠٠٠)، ص ٧٢ ـ ٧٣.

فإنها ترتبط بالجانب السياسي الخاص بإنشاء الامبراطوريات، والذي يعتمد أصلاً على تطور العلم في تثبيت كيانه وترسيخ استقلاله. واتفق مع رأي جميل مطر، الذي يرى بأن هذا الجانب السياسي يرتبط «بالهيمنة السياسية من جانب دولة مهيمنة أو مركز امبراطوري، سواء كان هذا المركز أثينا أو روما أو دمشق أو بغداد أو لندن أو غيرها من عواصم الغرب الأوروبي والآن هي في الولايات المتحدة»(٨).

ثالثاً: صور العولمة

لم يكن هناك شكل واحد أو صورة واحدة للعولمة، بل هناك صور متعددة ومختلفة، وكل صورة من هذه الصور هي عولمة بحد ذاتها. وحسب ما صرح به بطرس غالي، أمين عام الأمم المتحدة (سابقاً)، فهناك عولمات عديدة، عولمة في مجال المعلومات والمخدرات والأوبئة والبيئة، والمال، وحتى الجريمة، وأي مجال آخر من مجالات الحياة، ولم تكن المشكلة بالنسبة له تعدد صور العولمة، بل إن مشكلته تكمن في طرحه لسؤال عن ماهية النظام السياسي الذي يشرف على العولمة، هل هو نظام تسلطي أم ديمقراطي؟ ويجيب بأنه «تصان الديمقراطية في بعض الدول، في حين يهيمن على النظام الشمولي (Dus Globale System) نظام تسلطي، نظام يقوده التكنوقراط»(٩).

وما يهمنا هنا ليس النظام السياسي الذي يدير العولمة، بل أشكالها وصورها، لذا فإننا على الرغم من تصريح أمين عام الأمم المتحدة السابق، نستطيع القول بأن أشكال العولمة التي ظهرت لحد الآن وبنت لها مؤسسات وركائز في المجتمع هي:

١ ـ العولمة الثقافية

يتفق أغلب الباحثين على أن العولمة الثقافية ما هي إلا عملية تعميم الثقافة الأمريكية على العالم، ويحاول بعض الكتاب الأمريكيين الإيحاء إلى أن هناك عوامل سلبية في الثقافات الأخرى للبلدان الأخرى، مما يؤدي إلى سيطرة الثقافة الأمريكية على هذه الثقافات. هذه الصفات السلبية هي:

أنها ثقافات نخبة أو صفوة، هي ثقافات مكبلة بالقيود، هي ثقافات ذات توجهات دينية، وهي ثقافات تستخدم لغة لا تفهمها غير فئة قليلة من الصفوة أو من رجال الدين، ومن ثم فهي لا تلبي احتياجات الإنسان المعاصر الذي يبحث عنها في الثقافات الوافدة إليه أو الغازية لمجتمعه(١٠).

---

(٨) انظر مداخلة جميل مطر ضمن المناقشات التي دارت حول بحث: يسين، «في مفهوم العولمة،» ص ٦٠.

(٩) انظر حديث بطرس غالي، في: هانس ـ بيتر مارتين وهارالد شومان، **فخ العولمة: الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية**، ترجمة عدنان عباس علي؛ مراجعة وتقديم رمزي زكي، عالم المعرفة؛ ٢٣٨ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨)، ص ٣٢٩.

(١٠) انظر: ثابت، «العولمة والخيارات المستقلة،» ص ١٩، معتمداً على: Jeremy Tunstall, *The Media Are American* (New York: Columbia University Press, 1977),

نقلاً عن: أيمن منصور ندا، «الاختراق الثقافي عن طريق البث الوافد: «دراسة مسحية لأدبيات الاختراق»،» ورقة قدمت إلى: **أعمال ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي (القاهرة، ٢٣ ـ ٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٦)**، تحرير سعد لبيب (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩٦).

هذه الثقافة التي تسمى بثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، وقد ظهرت هذه الثقافة بعد احتضار الثقافة المكتوبة، إنها ثقافة الصورة، ثقافة لها من القدرة والتأثير مثلما هو الحال في العولمة الاقتصادية التي استطاعت تحطيم الحواجز الجغرافية الجمركية. كذا الحال بالنسبة لثقافة الصورة، فإنها استطاعت أن تحطم الحواجز اللغوية بين المجتمعات الإنسانية، ونتيجة لتطور التقانة مما ساعد على انتشار ثقافة الصورة خارج البلدان التي صدرتها. وتشكلت امبراطوريات إعلامية مهمتها تصدير ثقافة الصورة بالنظام السمعي البصري، وما زاد قبول هذا النظام، هو تراجع معدلات القراءة. وهنا يكمن خطر هذه الثقافة، لأن التلفزيون أصبح المؤسسة التربوية التي تقوم بالترويج لهذه الثقافة، فحلّ محل الأسرة والمدرسة في التربية، ثم ان التبادل الثقافي العالمي الحالي، هو تبادل غير متكافئ، وهو تبادل بين ثقافات متقدمة تمتلك إمكانيات واسعة وثقافات أقل تقدمية في الوعي ولا تملك الإمكانيات نفسها. لذا يسمى هذا النوع من التبادل الثقافي بالغزو والاختراق. ويعرف عبد الإله بلقزيز ثقافة العولمة هذه بأنها «فعل اغتصابي ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات، إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف ـ المسلح بالتقانة ـ فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة»[١١]. على الرغم من رأي بلقزيز هذا إلا أن هناك رأياً آخر يرى بأن العولمة الثقافية ما هي إلا «توحيد القيم حول المرأة والأسرة، وحول الرغبة والحاجة وأنماط الاستهلاك في الذوق والمأكل والملبس، إنها توحيد طريقة التفكير والنظر إلى الذات وإلى الآخر، وإلى القيم وإلى كل ما يعبر عنه السلوك. وهذه هي الثقافة التي تدعو العولمة إلى توحيدها»[١٢]، لكن هذا الرأي لا يمثل وجهة نظر أغلب الباحثين، لأن عملية توحيد قيم الأسرة والمجتمع وأنماط الحياة المختلفة لا تتم بهذه البساطة وذلك اليسر، وأن ثقافة الصورة لا يمكن أن تحققه، وحتى التفاعل المتزايد بين المجتمعات الحديثة لا ينتج منه ثقافة عامة، بل يسهل انتقال الأساليب التقنية والاختراعات والممارسات بين المجتمعات المتفاعلة بسرعة ويسر، وبطريقة أكثر مرونة من الطرق التي كانت سائدة في العالم القديم، مثلما يقول هانتنغتون[١٣].

أما عملية الترويج لمفاهيم مثل التفاعل الثقافي والتداخل الحضاري، وحوار الحضارات، والتبادل الثقافي، فإنها تنتهي إلى أن ثقافة المركز هي التي يجب أن تسود، وأن الثقافات الأخرى عليها أن تحذو حذو المركز لكي تقترب منه، وأن مجابهة مثل هذا التيار لا بد من أن تتم بالحفاظ على الخصوصية الثقافية والاهتمام بها وحمايتها، لأن ما تقوم به العولمة الثقافية التي تندرج تحتها مثل هذه المفاهيم هو إذابة الثقافات الأخرى، وتعميم ثقافتهم. أما الحفاظ على الخصوصية الثقافية فيتم بالحفاظ على:

---

(١١) انظر تعقيبي فهمية شرف الدين ومحمود عوض على بحث: عبد الإله بلقزيز، «العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟،» ورقة قدمت إلى: **العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ص ٣٠٩ ـ ٣٢٩، ونشرت أيضاً في: **المستقبل العربي**، السنة ٢٠، العدد ٢٢٩ (آذار/مارس ١٩٩٨)، ص ٩٨.

(١٢) انظر رأي طلال عتريسي في تعقيبه على بحث: يسين، «في مفهوم العولمة،» ص ٤٥.

(١٣) انظر: صامويل هانتنغتون، **صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي**، ترجمة طلعت الشايب؛ تقديم صلاح قنصوه ([القاهرة]: دار الكتب المصرية، ١٩٩٨)، ص ١١٤.

ـ البداية بالأنا قبل الآخر، وبالقريب قبل البعيد وبالموروث قبل الوافد.

ـ كسر حدة الانبهار بالغرب، ومقاومة قوة جذبه وذلك برده إلى حدوده الطبيعية والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية.

ـ قدرة الأنا على الإبداع والتفاعل مع ماضيها وحاضرها، بين ثقافتها وثقافة العصر، ولكن ليس قبل عودة الثقة للأنا بذاتها، وليس قبل التحرر من الانبهار بالآخر كنقطة جذب لها وإطار مرجعي لثقافتها(١٤).

وعلى الرغم من موقف هانتنغتون في **صدام الحضارات**، إلا أنه يذكر نماذج من الأحداث يدلل من خلالها على أن الشعوب تعود إلى هويتها الثقافية ورموزها الأصلية، ومن نماذجه:

تظاهر ألف مواطن من سراييفو عام ١٩٩٤، هم يلوحون بعلمي السعودية وتركيا، بدلاً من أعلام الأمم المتحدة وشمال الأطلسي (NATO)، وهذا يعني توحدهم مع رفاقهم المسلمين.

والمثل الآخر: تظاهر سبعون ألف مواطن في لوس أنجلوس، وهم يحملون الأعلام المكسيكية، ضد قرار أمريكي يحرم المهاجرين غير الشرعيين من مميزات تمنحها الدولة، وفي تظاهرتهم هذه لم يحملوا العلم الأمريكي على الرغم من أنهم أمريكيو الجنسية، مكسيكيو الانتماء والأصل. وبعد فترة تظاهر هؤلاء بأعداد كبيرة حاملين العلم الأمريكي مقلوباً، مطالبين بحقوقهم، عندها استجاب لهم الرأي العام وحصلوا على حقوقهم(١٥).

إذن يريد هانتنغتون القول، وهذا ما صرح به بعد الحرب الباردة، بأن رموز الهوية أصبحت أشياء يعتد بها ولها فعلها، مثل الإعلام والصليب والهلال وحتى غطاء الرأس، والسبب «لأن الثقافة لها أهميتها ولأن الهوية الثقافية هي الأكثر أهمية بالنسبة لمعظم الناس»(١٦)، لذلك كانت فكرة كتابة **صدام الحضارات** تقوم على أن «الثقافة والهويات الثقافية والتي هي على المستوى العام هويات حضارية، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة»(١٧)، والناس يعرفون أنفسهم من خلال النسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات والمؤسسات الاجتماعية، وينتقل هذا التعارف على مستوى الدول، إذ ان الدول التي بينها صلات قربى ثقافية تتعاون اقتصادياً وسياسياً، والغرب الآن هو أقوى الحضارات، ويتوقع هانتنغتون أن تنتقل قوة الغرب إلى الحضارات غير الغربية، لذا فهو ينتقد أطروحة فوكوياما القائمة على انتصار الديمقراطية الغربية على أنها الشكل النهائي للحكومة الإنسانية، وينتقد أيضاً أطروحات السياسيين القائمة على انهيار خط برلين، وتهاوي

---

(١٤) انظر: حنفي، «الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية،» ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(١٥) انظر: هانتنغتون، المصدر نفسه، ص ٣٤ ـ ٣٥.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٣٩.

النظم الشيوعية، وأهمية الأمم المتحدة، وإعلان رئيس الدولة المهيمنة على النظام العالمي الجديد، ورفض رئيس الجامعة الرئيسة في العالم تعيين أستاذ للدراسات الأمنية على اعتبار عدم وجود حاجة، ولم نعد ندرس الحرب فلم تعد هناك حرب.

يقول هانتنغتون بأن هذه كلها أوهام، بدليل ظهور الصراعات العرقية وانهيار النظام والقانون، وانبعاث تحالفات جديدة، وظهور حركات شيوعية وفاشية جديدة، واتساع الأصولية الدينية، وعجز الأمم المتحدة عن كبح الصراعات المحلية الدموية، وهناك نزعة عند الناس إلى تقسيم بعضهم إلى (نحن وهم)، والشرق والغرب، والشمال والجنوب، والمركز والمحيط الخارجي، ودار السلام ودار الحرب، ومناطق سلام ومناطق اضطراب، والدول الغنية والدول الفقيرة. فالعالم غارق في فوضى تفكك الدول، واتساع نطاق الصراعات القبلية والعرقية والدينية، وظهور المافيا الإجرامية الدولية، وزيادة أعداد اللاجئين بعشرات الملايين، وانتشار الأسلحة النووية، وانتشار الإرهاب وتفشي المذابح[١٨]. في ظل هذا الوضع يريد من تحلو له العولمة الثقافية أن يعمم ثقافة أمريكا على العالم، في الوقت الذي توصف فيه الثقافة الإمريكية على أنها «نفاية الثقافات، وثقافة النفايات»[١٩]. وقد أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن سوق الثقافة الراقية والرفيعة محدودة، وبالتالي لا بد من الترويج لثقافة أكثر انتشاراً، لذا عهدت إلى هوليوود ووكالات الإعلان لتبني هذه المهمة على الرغم من أن هناك «شعراء وروائيين وفلاسفة ومخرجين سينمائيين من أعلى المستويات، فقد تبين لها أن لرامبو وشوارزينغر ومادونا ومايكل جاكسون أفضلية اقتصادية. إن النخبة الثقافية موجودة وجيّدة في الولايات المتحدة، وتلاقي دعماً مقبولاً من الدولة ومن مؤسسات المجتمع، لكنها نخبة محدودة ومحصورة في الدوائر الفكرية، وهي تدرك أن للثقافة المتدنية المستوى سوقاً أوسع كثيراً من سوق الثقافة الراقية»[٢٠].

يريد من تحلو له العولمة الثقافية أن يعمم ثقافة أمريكا على العالم، في الوقت الذي توصف الثقافة الأمريكية على أنها نفاية الثقافات وثقافة النفايات.

ثم إن سبب استعمار والت ديزني للثقافة العالمية هو ذلك الصراع والمنافسة بين الأزواج التالية: الشاق والسهل، البطيء والسريع، المعقد والبسيط، وكل أول من هذه الأزواج يرتبط بنتاج ثقافي متميز يدعو إلى الإعجاب والإكبار، أما كل ثان من هذه الأزواج فهو يتلاءم مع لهونا وتعبنا وخمولنا. إن ديزني ومكدونالدز وإم. ت. في

(١٨) لمزيد من التفاصيل، انظر: المصدر نفسه، ص ٥٣ ـ ٥٨.

(١٩) هذا التعبير للمحرر الثقافي في مجلة **نيويورك تايمز**. ذكره جميل مطر في مداخلته ضمن المناقشات التي دارت حول بحث: بول سالم، «الولايات المتحدة والعولمة: معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين،» ورقة قدمت إلى: **العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ص ٢٧٥.

(٢٠) بول سالم، «الولايات المتحدة والعولمة: معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٠، العدد ٢٢٩ (آذار/مارس ١٩٩٨)، ص ٨٧.

«MTV» تروج لما هو سهل وسريع وبسيط[٢١].

واستطاعت أمريكا بهذه الطريقة أن تصل إلى شباب اليوم، وأن تضع ثقافة محدودة للشبان، لذا فهي تسيطر عليهم دون منازع، وينعكس هذا التأثير في المستقبل في كون هؤلاء الشبان نخب المستقبل وقادته، وكأنما أمريكا تريد أن تضمن المستقبل من الآن، لكن حقيقة الأمر هي عكس ذلك تماماً، بدليل بسيط، هو ما أظهره استبيان أجري على طلبة جامعة الإمارات، بشأن آرائهم واتجاهاتهم حول الولايات المتحدة، فكان ٦٤ بالمئة يعتبرون الولايات المتحدة معادية، و٥٥ بالمئة يعتبرون أمريكا تشكل خطراً على الأمة العربية، و٥٠ بالمئة يؤكدون بأن أمريكا تعادي الإسلام. فهذا الجيل الذي يقف هذه المواقف تجاه أمريكا هو الذي يستهلك الثقافة الأمريكية[٢٢].

٢ ـ العولمة الاتصالية

يرتبط الإعلام بالبنية السياسية الدولية، وبالبنية الاقتصادية، وبالبنية الثقافية. وعالم الإعلام في الوقت الحاضر، هو عالم بلا دولة وبلا أمة وبلا وطن، لأن الحكومات فقدت السيطرة على فضائها الجوي، وأصبح الفضاء اللامحدود هو المكان الذي تتحرك فيه العولمة الإعلامية أو هو وطن الإعلام. هذا الوطن الإعلامي يستخدم ما يزيد على خمسمائة قمر صناعي تدور حول الأرض، ويستقبل بثها أكثر من مليار من أجهزة التلفزيون، لكن نظام الإعلام «لا يشكل نظاماً دولياً متوازناً لأن كل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية، وهذا ما أدى إلى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية»[٢٣]. وتبين لنا إحصاءات منظمة اليونسكو أن هناك ثلاثمئة شركة إعلامية هي الأولى في العالم، وجدنا بينها ١٤٤ شركة أمريكية و٨٠ أوروبية و٤٩ يابانية. ومن بين الخمس والسبعين الأول في مجال نقل المعلومات إلى الجمهور هناك ٣٩ شركة أمريكية و٢٥ أوروبية غربية و٨ يابانية.

وفي قطاع الخدمات (المعلوماتية والاتصالات البعيدة المدى) ومن بين الشركات الثماني والثمانين الأولى نجد ٣٩ أمريكية، و١٩ أوروبية غربية، و٧ يابانية. وفي قطاع التجهيزات ومن ١٥٨ شركة هناك ٧٥ شركة أمريكية و٣٦ أوروبية غربية و٣٣ يابانية، ويوجد الباقي بأكمله تقريباً في الشمال في استراليا وكندا[٢٤].

وتقسم هذه الشركات إلى ست مجموعات، أربع منها أمريكية وواحدة أوروبية وواحدة استرالية أمريكية. هذه المجموعات هي:

تايم ورنر (Time Warner)، مجموعة برتلز مان (Bertels Man)،مجموعة ڤياكوم

---

(٢١) مارتين وشومان، **فخ العولمة: الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية**، ص ٤٦.

(٢٢) انظر مداخلة عبد الخالق عبد الله ضمن المناقشات التي دارت حول بحث: سالم، «الولايات المتحدة والعولمة: معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين،» ص ٢٧٣.

(٢٣) عمر، «إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك،» ص ٧٧.

(٢٤) إحصاءات منظمة اليونسكو المنشورة في: **الشاهد** (نيقوسيا)، السنة ١٥، العددان ١٧٩ ـ ١٨٠ (تموز/ يوليو ٢٠٠٠)، ص ٦٦.

(Viacom)، مجموعة ديزني (Disney)، نيوز كوربوريشن (News Corporation) ومجموعة تي. سي. تي. «TCT».

وهناك مجموعات إعلامية أخرى، لكنها أقل من هذه المجموعات من حيث الأنشطة والدخل. فضلاً عن ذلك فقد صرحت إحدى الشركات الأمريكية بأنها في عام ٢٠٠٢ سوف تطلق قمراً صناعياً يبث ألفاً وخمسمائة قناة تلفازية في آن واحد. أما كفاءته فإنها تعادل مجموعة الأقمار الصناعية الحالية... وشبكة الانترنت القادمة ستصل سرعتها إلى ٢٠٠٠ مثل الشبكة الحالية، وأن الإنسان بإمكانه مشاهدة مئات القنوات التلفزيونية وهو في مكتبه أمام الكمبيوتر. واتفقت خمس عشرة شركة أمريكية وأوروبية ويابانية على مشروع يؤدي إلى تطويق الكرة الأرضية بكوكبة من الأقمار الصناعية. تساعد هذه الأقمار أي فرد في أي مكان في العالم على الاتصال بأي شخص في العالم، والتقاط البث الفضائي مباشرة دون الحاجة إلى الأطباق، أو أي خدمات أرضية، وتصبح هذه الأطباق تكنولوجيا قديمة تجاوزها الزمن. وفي هذه الحالة، فإن هذا المشروع ما هو إلا ردة فعل ضد ما تقوم به الحكومات التي تمنع امتلاك الأطباق أو إصدار تراخيص مقيدة، أو إدخال نظام إعادة البث، هذه الشبكة الكونية للشبكات (Global Network of Networks) كما أسمتها الإدارة الأمريكية هي البنية التحتية الكونية (Global Information Infrastructure) للمعلومات في عصر العولمة[٢٥].

لكننا إذا ناقشنا هذه المعلومات بهدوء، وقارناها مع إحصائية تقول بأن شبكة المعلومات العالمية ليست عالمية على الإطلاق، بدليل أن ٦٠ بالمئة من مستخدمي هذه الشبكة يقيمون في أمريكا الشمالية، وأن سكانها يمثلون ٥ بالمئة من سكان العالم، وأفريقيا، قارة كاملة ليس فيها سوى ١٤ مليون خط تليفون، أي أقل مما لدى طوكيو. ثم إن الدول النامية ستهمش بدرجة أكبر بسبب العمل على الانترنت. فضلاً عن ذلك اعتراف رئيس وزراء اليابان بأنه لم يستخدم الكمبيوتر قط في حياته، بينما هو يستضيف قمة أوكيناوا. والهند رغم شهرتها كسوق ناشئ في مجال البرمجيات وتكنولوجيا المعلومات، إلا أن نحو ربع مليون قرية من قراها ليس بها خط تليفوني واحد... ومن المرجح أن يتركز استخدام الانترنت على أصحاب الدخول المرتفعة والتعليم العالي من المتحدثين بالإنكليزية، وأن هناك ملايين من السكان في مختلف أنحاء العالم، يعيشون دون مياه شرب نظيفة وكهرباء، ناهيك عن خطوط التليفون وأجهزة الكمبيوتر[٢٦]... وإذا كان الوضع هكذا فكيف نتفق ما مع يعرض عن وضع هذه الشبكة العالمية المخيف، ومع ما يصور على أن العولمة حتمية لا مفر منها.

وإذا نظرنا إلى الحدث الصحفي في إطار العولمة، نرى أن الحدث ليس هو ما يساعدك على معرفة وتشخيص توجهات المجتمع، ويحدد مسؤوليتك تجاهها بل هو ما يسمح بالبيع إذا كان ضمن صحافة مكتوبة، أو ازدياد ربح قناة تلفزيونية، إن كان الحدث يعرض في القناة التلفزيونية، ومثل غارودي على ذلك «إذا كنت تحب زوجتك فذلك

---

(٢٥) انظر: عمر، المصدر نفسه، ص ٨٨ ـ ٨٩، ومالك ابراهيم الأحمد، **العولمة في الإعلام**، ص ١٢٢.

(٢٦) انظر بشأن هذه المعلومات: **القدس**: ٢٢/٧/٢٠٠٠، و٢٣/٧/٢٠٠٠.

لا يهم أحداً. فإذا قتلتها فهذا حدث (متفرقات) وهو يكلفك مقالة صغيرة في الصحيفة أو ٢٧ ثانية في النشرة التلفزيونية، وإذا ما قطعتها إرباً فهذا يستحق عموداً في صحيفة أو ثلاث دقائق من البث، وإذا ما أكلتها (كما فعل أخيراً أحد اليابانيين) فإنها الشهرة»[٢٧]، والعنف أيضاً مربح ويستغل استغلالاً أمثل مثلما يحصل في أفلام الرعب الأمريكية. وكذلك الحال في الصور الخادعة والمقابلات المغشوشة، مثلما حصل في تركيب صورة لأم وابنها وإخراجها من غرفة الجثث، وتصويرها وكأنها مجزرة وحشية وقعت، وعلى أثرها انطلقت أحداث عام ١٩٨٩ وأدت إلى سقوط شاوشيسكو.

وإذا كان البعض يتصور أن إعلام العولمة هو الذي أجبر الحكومات على الاهتمام بقضايا الإنسان ومشاكل الأقليات، وحول المجتمعات والبيئات الداخلية إلى مجتمعات وبيئات عالمية، واختصر المسافات والزمن بين العالم، فإن الحقيقة هي أن إعلام العولمة هو الذي دفع الناس إلى السلوك الاستهلاكي ونشر قيم هذا السلوك الاستهلاكي، وهو الذي يضغط على الحكومات بحجة حقوق الإنسان، ويصور للناس بأنه يدافع عن حقوق الأقليات، وعن الحرية والديمقراطية، وعلى أساس أنه إعلام حر، وهو الذي أصبح جزءاً من الأنشطة الاقتصادية، وأن منطلقه الربح، ويخدم في نتيجته النهائية قوى عظمى، وأضعف بشكل واضح وظاهر للعيان الإعلام الوطني. وأصبح الإعلام الوطني تابعاً له، ويعتمد على ما يقدم له من صور ومعلومات، وإعلانات. ويعتقد صناع هذا الإعلام، ويؤيدهم وللأسف الكثيرون في منطقتنا العربية، بأن هدف هذا الإعلام هو دمج الثقافات في ثقافة واحدة، هي ثقافة العولمة، ويتم ذلك عبر الإعلام الموجه الذي يستخدم الكلمات والصور، والذي يروج لنمط الحياة الغربية على أساس أنها النموذج الأمثل، وهي حياة المجتمع الرأسمالي، وتشجيع من ينخرط في هذا النموذج من الحياة، لكي يكون هذا التشجيع حافزاً للآخرين للاحتذاء حذو من تقبل هذا النموذج.

٣ ـ العولمة الاقتصادية

العولمة الاقتصادية هي عملية سيادة نظام اقتصادي واحد، ينضوي تحته مختلف بلدان العالم في منظومة متشابكة من العلاقات الاقتصادية، تقوم على أساس تبادل الخامات والسلع والمنتجات والأسواق ورؤوس الأموال. ونتيجة لظهور الشركات المتعددة الجنسيات فقد تطورت العلاقات الاقتصادية بين بلدان العالم، وتضخمت هذه الشركات لاستفادتها من فروق الأسعار ونسبة الضرائب ومستوى الأجور «وانتهاء بتركيز الإنتاج في المكان الأرخص ونقله إلى الاستهلاك في المكان الأعلى على مستوى الكرة الأرضية، ولم لا؟ والعولمة هي صناعة الأسواق التي تضمن عالمية التصدير والاستيراد»[٢٨]، والعولمة الاقتصادية هي أيضاً «الاقتصادات العالمية المفتوحة على بعضها، وهي ايديولوجيا ومفاهيم الليبرالية الجديدة التي تدعو إلى تعميم الاقتصاد والتبادل الحر كنموذج

---

(٢٧) روجيه غارودي، **العولمة المزعومة: الواقع، الجذور، البدائل**، تعريب محمد السبيطلي (صنعاء: دار الشوكاني للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص ٧٧.

(٢٨) عمر، «إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك،» ص ٧٤.

مرجعي، وإلى قيم المنافسة والإنتاجية. وهي تعد العالم بالرفاه (دون البنين) وبالمزيد من التقدم»[٢٩].

ويصف إدوارد لتواك (Edward Luttwak)، الكاتب السياسي الأمريكي، العصر الجديد، بأنه عملية انصهار الاقتصادات القروية والإقليمية في اقتصاد عالمي شمولي واحد لا مكان فيه للخاملين، بل يقوده أولئك الذين يقدرون على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء، وأن ما يجري في السوق الرأسمالي هو الرأسمالية النفاثة، لأن السرعة المروعة التي تتم فيها عملية التحولات قد أحدثت صدمة لشطر عظيم من السكان. ويوعز لتواك إلى أن سبب التفكك الأسري الحاصل في الولايات المتحدة هو عولمة الاقتصاد. حتى الاضطرابات التي كانت سائدة في المكسيك والدول المشابهة لها، ما هي إلا نتاج هذه القوة التدميرية التي تسمى بعولمة الاقتصاد. وكمثال على ذلك فإن الشاب البالغ من العمر ثلاثين عاماً، لا يستطيع التعامل مع البضائع التي يتعامل معها الشاب الذي يصغره بسنوات قليلة، كأجهزة التسلية والكمبيوتر، لأنها تفوق مداركه، وعليه التواصل معها، وهذا التواصل يتطلب مقدرة من الذكاء والحركة والتنقل... واعترف تايل نيكر (Tyll Necker)، رئيس اتحاد الصناعات الألماني (BDI)، بأن العولمة أدت إلى تحولات هيكلية وبسرعة عالية، يصعب على عدد كبير من الأفراد مسايرتها وتحمل أعبائها، لذا فهي، أي العولمة، أرهقت غالبية السكان حتى أولئك الذين يدعون لاعبين عالميين (Global Players)، وهم قادرون على تحمل كل الضغوط[٣٠].

الحقيقة أن إعلام العولمة هو الذي دفع الناس إلى السلوك الاستهلاكي، ونشر قيم هذا السلوك وهو الذي أصبح جزءاً من الأنشطة الاقتصادية منطلقه الربح، ويخدم في النهاية القوى العظمى.

لكن ليس شرطاً أن يخضع الاقتصاد العالمي لمبدأ واحد، ينطبق على جميع بلدان العالم. فما تدعو إليه بلدان الرفاهية عن تراجع وانحسار دور الدولة، وإعطاء قوى السوق مجالاً أوسع، يجري عكسه تماماً في البلدان الصاعدة التي تحتاج إلى دعم الدولة، ومشاركتها في بناء الاقتصاد الوطني. ويرفض قادة المؤسسات الاقتصادية في أمريكا وألمانيا، تدخل الدولة في شؤونهم، وبخاصة في قراراتهم الاستثمارية، لكنهم يخضعون في البلدان الآسيوية للشروط التي يضعها البيروقراطيون الحكوميون. ثم إن صناع العولمة يضعون الاقتصاد كأداة للعولمة وجغرافية العالم مادة لها. ومن أجل توضيح ملامح صورة العولمة الاقتصادية نورد ما يلي:

«١ ـ سقوط الاعتبارات الاستراتيجية وهيمنة الطموحات التجارية.

٢ ـ ترسيخ الاعتقاد بأن الرخاء الاقتصادي يقود حتماً إلى التشابه واستقرار النمط الأوحد.

---

(٢٩) انظر تعقيب عتريسي على بحث: يسين، «في مفهوم العولمة،» ص ٤٤.

(٣٠) لمزيد من التفاصيل، انظر: مارتين وشومان، **فخ العولمة: الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية**، ص ٥٧، ٣٢٤ و٣٢٦.

٣ ـ تنامي الشعور بأن الكون أصبح أخيراً يسكنه العقلاء، يفكرون ويتصرفون بنفس الطريقة ووفق نظرية جديدة في منطقها ومثلى في جوهرها لأنها نتاج تجربة كاملة من تاريخ البشرية، كما يدعي ذلك أصحابها»[٣١].

ويسخّر الآن صناع العولمة رؤساء الدول من أجل زيادة مدخولاتهم المادية، وتنمية مصالحهم الاقتصادية. ففي عام ١٩٨٨ زار الرئيس الأمريكي القارة الأفريقية، واصطحب معه ثمانمئة رجل أعمال معظمهم من السود. وكان يروج، بل يطبق فكرة التجارة لا المساعدة مع القارة الأفريقية. ومثلما فعل الرئيس الأمريكي فعل الرئيس الصيني عندما زار الولايات المتحدة والتقى مع قادة الشركات الكبرى، وكذلك الرئيس الفرنسي جاك شيراك فهو يسافر برفقة رجال الأعمال الفرنسيين. وعليه فقد أصبح زعماء الدول الصناعية مروجي مبيعات لمصالح بلدانهم.

وإذا كان الوضع هكذا، أليس من حقنا أن نتساءل عما إذا كانت زيادة التجارة بهذه الطريقة تسرع من احتمال الحرب بين الدول، وذلك لنشوء مصالح متعددة ومختلفة لهذه الشركات المتعددة الجنسيات، أو للدول؟ وتذكر إحدى الدراسات «أن المعدلات الزائدة في التجارة قد تكون قوة مسببة للشقاق بالنسبة للسياسة العالمية وأن زيادة التجارة في النظام الدولي في حد ذاتها لا يحتمل أن تخفف من التوترات العالمية أو تؤدي إلى استقرار عالمي أكبر»[٣٢].

٤ ـ العولمة السياسية

هي تقليص فاعلية الدولة أو تقليل دورها، واعتبار الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات العالمية شريكاً للدولة في صنع قراراتها السياسية. وهذا يعني أن مبدأ السيادة آخذ بالتآكل نتيجة علاقات الدول فيما بينها في مختلف مجالات الحياة. وتصبح حرية الدول بحسب مشيئتها ناقصة، لذا فالعولمة السياسية تعني «نقلاً لسلطة الدولة واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه، وهي بذلك تحل محل الدولة وتهيمن عليها»[٣٣]، وهي تعني أيضاً «الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية والليبرالية السياسية وحقوق الإنسان والحريات الفردية. وهي إعلان لنهاية سيادة الدولة ولنهاية الحدود ولتكامل حقل الجغرافية السياسية»[٣٤]، ويتوقع الإيطالي ريكاردو بتريلا أن تكون السلطة في المستقبل «في أيدي مجموعة متحدة من رجالات أعمال دوليين وحكومات مدن، همها الأول تعزيز القوة التنافسية لتلك المشاريع والمؤسسات العالمية المستوطنة في مدنها»[٣٥]. فضلاً عن ذلك، كتب جلال أمين بحثاً بعنوان «العولمة والدولة»، تناول فيه قدم وحداثة العولمة، وهل تراجعت قوة الدولة أم تغيرت الوظيفة؟ والعولمة والدولة

---

(٣١) جمال عياد، في: حاتم بن عثمان، **العولمة والثقافة** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩)، ص ٢١ ـ ٢٢. وهي في الأصل مقابلة صحافية أجراها حاتم بن عثمان مع جمال عياد ونشرت في: **الرأي** (الأردن)، ١٧/١١/١٩٩٨.

(٣٢) هانتنغتون، **صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي**، ص ١١١.

(٣٣) عمر، «إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك»، ص ٧٤.

(٣٤) انظر تعقيب عتريسي على بحث: يسين، «في مفهوم العولمة»، ص ٤٤.

(٣٥) مارتين وشومان، **فخ العولمة: الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية**، ص ٥٤.

الرخوة، وغيرها من المحاور[٣٦]، أقول على الرغم من كل هذه الآراء والتنظيرات فإن الولايات المتحدة وتحت غطاء العولمة السياسية، انتهجت سياسة متأثرة بعنصرين أساسيين هما بريطانيا وألمانيا. فهي تأثرت ببريطانيا من ناحية سيطرتها على البحار والجو والفضاء واستعمال هذه السيطرة لخلق توازنات إقليمية في أنحاء العالم، ومنع أي قوة من النمو لكي تنافس الولايات المتحدة، من دون أن تدخل هي (أي أمريكا) مباشرة في صراعات عسكرية. والعنصر الآخر الذي شكل سياستها هو تأثرها ببسمارك (١٨٧١) الذي تقوم سياسته على إقامة ألمانيا علاقات مع جميع القوى الكبرى في أوروبا باستثناء فرنسا، بحيث يكون لهذه الدول نفع في علاقاتها مع ألمانيا، أكثر من قطع علاقاتها معها. لذا فأمريكا جعلت نفسها مركزاً لعلاقات العالم السياسية والدبلوماسية والأمنية والاقتصادية والثقافية، من خلال إقامة علاقات مع أغلب دول العالم، بحيث تكون هذه الدول مستفيدة من علاقاتها مع أمريكا ولا يمكن أن تتخلى عن تلك العلاقة. وعليه فإنه ليس من باب المصادفة أن يكون مقر الأمم المتحدة في نيويورك، والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي في واشنطن، وزج البيت الأبيض ووزارة الدفاع والخارجية الأمريكية في السياسة العالمية[٣٧].

تذكر إحدى الدراسات أن المعدلات الزائدة في التجارة قد تكون قوة مسببة للشقاق بالنسبة للسياسة العالمية.. وأن زيادة التجارة في النظام الدولي في حد ذاتها لا يحتمل أن تخفف من التوترات العالمية.

ويحاول صناع العولمة الترويج لإلغاء الحدود السياسية بين البلدان على أساس أن سلطتهم هي أعلى من سلطات الدولة. ففي اللقاء الذي تم في فندق فيرمونت في سان فرانسيسكو عام ١٩٩٥ بحضور غورباتشوف جمع خمسمائة من قادة العالم في مجالات السياسة والمال والاقتصاد، وعلماء من كل القارات، وقد سمى غورباتشوف هؤلاء بالخبراء، وأراد من خلال هذا اللقاء أن يحدد معالم القرن الحادي والعشرين. وقد تكلم جون غايج (John Gage)، مدير شركة ميكروسيستمز للكمبيوتر، قائلاً «بمستطاع كل فرد أن يعمل لدينا المدة التي تناسبه، إننا لا نحتاج إلى الحصول على تأشيرات السفر للعاملين لدينا من الأجانب»[٣٨]. إذن الحكومات والدول لم تكن عائقاً بالنسبة له: فهو يوظّف حسب ما يريد وفقاً لحاجته، لأن شركته حسب ما يدعي تستلم طلبات العمل بالكمبيوتر: «إننا نتعاقد مع العاملين لدينا بواسطة الكمبيوتر، وهم يعملون لدينا بالكمبيوتر ويطردون من العمل بواسطة الكمبيوتر أيضاً»[٣٩].

---

(٣٦) جلال أمين، «العولمة والدولة،» ورقة قدمت إلى: **العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ص ١٥٣ ـ ١٧٠.

(٣٧) لمزيد من التفاصيل، انظر: سالم، «الولايات المتحدة والعولمة: معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين،» ص ٢١٢.

(٣٨) مارتين وشومان، **فخ العولمة: الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية**، ص ٢٤.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٤.

واستمر بالتفاخر بشركته وكيف أنها حققت أرباحاً عالية من الصفر إلى ٦ مليارات دولار، بسرعة هائلة، لكنه على الرغم من هذا التفاخر فإنه وجه انتقاداً لديفيد باكارد (David Packard)، وهو أحد مؤسسي شركة هولت باكارد (Hewlett-Packard) للتقنية العالمية، بأن شركة باكارد لم تحقق أرباحاً مثل شركته، لكن باكارد وجه سؤالاً لجون، فقال له: كم عدد العاملين الذين تحتاجهم شركتك؟ فكان جوابه بأنهم «ستة ولربما ثمانية[٤٠]، ولا يهمنا أين يسكن هؤلاء، وبدونهم تقف شركتنا عن العمل، لكن مدير الجلسة سأل جون، كم عدد العمال الذين لديكم؟ فقال «١٦ ألفاً ـ وإذا ما استثنينا قلة ضئيلة منهم، فإن جل هؤلاء احتياطي يمكن الاستغناء عنه عند إعادة التنظيم»[٤١]. إذن لا أمل لتشغيل العاطلين عن العمل أو إيجاد فرص جديدة لعمل الناس في ظل العولمة، فهم يقولون بأنه يكفي ٢٠ بالمئة (مجتمع الخمس) من سكان العالم العاملين لتسيير الاقتصاد الدولي، أما ٨٠ بالمئة من العالم المتبقية، فيعبر عنهم رأي مدير شركة سكوت مكنيلي (Scoot McNealy) فهو يقول «إن المسألة ستكون: إما أن تأكل أو تؤكل»[٤٢] تلك هي أصدق عبارة تعبر عنها العولمة السياسية.

رابعاً: أخطار العولمة وكيفية مواجهتها

١ ـ أخطار العولمة

أ ـ إن تقدم العلم والتقنيات في ظل العولمة يؤدي إلى تدمير الطبيعة، بدليل أن قنبلة هيروشيما أدت إلى مقتل ٧٠ ألف شخص في لحظة واحدة، في حين تمتلك القوة النووية الآن مخزوناً يعادل أكثر من مليون قنبلة من قنابل هيروشيما. معنى ذلك أن لهذه القوة قدرة على القضاء على سبعين ملياراً من الكائنات الإنسانية، أي اثنتا عشرة أو خمس عشرة مرة مما يوجد على الأرض. فضلاً عن ذلك، فإن التربة أنهكت من المعالجات الكيميائية، وهنالك مشكلة تلوث الهواء، ومجازر البحر وثرواته السمكية، ونفاد مصادر الطاقة الجوفية غير المتجددة كالنفط، مما يعني أن هناك تهديداً لكل الوسط الضروري للحياة، كالماء والهواء والأرض «مما يجعلنا نتساءل إذا ما واصلنا في هذه الطريق الانتحارية، وإذا ما استمرت الأرض مسيّرة بهذا الشكل، هل ستبقى قابلة للسكن إلى نهاية القرن الواحد والعشرين؟»[٤٣].

ب ـ تلعب الشركات المالية التي أفرزتها العولمة دور الشرطي في البلدان المضيفة لاستثمارات هذه الشركات، وعلى هذه الدول المضيفة الالتزام بادعاءات معينة في السياسات الاقتصادية، وإلا فقد يتم سحب تلك الاستثمارات والتوظيفات، ويؤثر ذلك في انخفاض عملات تلك الدول، وانخفاض العملات الأجنبية، وحدوث إفلاسات مالية، مما يضطرها إلى الرضوخ تحت أي شروط أو قيود، ويعدّ ذلك تنازلاً عن جزء كبير من سيادتها.

---

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٥.
(٤١) المصدر نفسه، ص ٢٥.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٤٣) غارودي، **العولمة المزعومة: الواقع، الجذور، البدائل**، ص ١٨٥.

ج ـ الأفكار التي تطرحها العولمة هي أفكار براقة، وتلاقي رواجاً وقبولاً عند الجميع، فهي عندما تطرح حقوق الإنسان والديمقراطية والثقافة الحديثة والتخلص من التعصب الديني أو القومي أو العرقي، فإن مثل هذه الأفكار تبدو لمن يسمعها مقبولة جداً، لكن علينا أن نسأل بعد ذلك ما هي الأشياء التي تجري عولمتها؟ فإذا ازدادت سرعة النقل والمواصلات واتسع السوق، بعد إزالة الحواجز بين البلدان لانتقال السلع والخدمات والأشخاص والأفكار، علينا أن نسأل ما هي طبيعة هذه السلع التي انتقلت بين البلدان وما هي نوعية المعلومات والأفكار، وما هي نوعية التقدم العلمي؟ فالإنسان في عصر العولمة عليه أن يقبل نوعية معينة من السلع والخدمات والابتكارات. فهي إذن عولمة نوع أو نمط معين من الحياة يفرض على الآخرين، ويتم تنميق وتزيين هذا النمط الذي يسوّق إلى العالم كله. وإذا اقتنعنا بذلك، فإن صورة العولمة التي يقدمها الغرب لنا براقة بمجرد الاقتناع بأن الهدف هو هذا.

د ـ بدأت أشكال جديدة للاستعمار الحديث بعد التحرر من الاستعمار الاستيطاني، تحت عدة تسميات: «مناطق النفوذ والأحلاف العسكرية في عصر الاستقطاب، والشركات المتعددة الجنسيات، واتفاقية تعريف التجارة الخارجية، واقتصاد السوق ومجموعة الدول الصناعية السبع أو الثماني، والعالم ذو القطب الواحد، وثورة الاتصالات، والعالم قرية واحدة»(٤٤).

هـ ـ العولمة في البلدان العربية تعمق التخلّع الاقتصادي، أي فقدان الترابط بين قطاعات الاقتصاد، وتزيد البطالة، وترفع فاتورة الغذاء المستورد للبلدان العربية، وتساهم في انحسار مهمة الدولة، بل يرى بعض الباحثين بأن «الدولة في منطقتنا العربية قد أصبحت في الواقع، وللأسف، من أكثر أدوات العولمة فعالية ونشاطاً»(٤٥)، لكن هذا الرأي مبالغ فيه، فلم تصل الدول في منطقتنا العربية إلى هذا الحد، على الرغم من الضغوط الكبيرة التي تمارسها مؤسسات العولمة في منطقتنا كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

٢ ـ الحلول

بعد أن أوجزت القول بشأن أخطار العولمة، لا بد من أن نذكر الحلول المقترحة من الباحثين بشأن مواجهة العولمة، وسنركز هنا على الحلول الخاصة بمنطقتنا العربية، ومن هذه الحلول:

أ ـ ما قدم من مقترحات في المؤتمر الاقتصادي العربي، الذي شاركت فيه سوريا والعراق ولبنان واليمن وفلسطين والجزائر والأردن، وكانت توصياته:

ـ دعوة الدول العربية للدخول في تكتلات اقتصادية عربية تحقيقاً للمصالح المشتركة.

---

(٤٤) حنفي، «الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية،» ص ٢٤٥.

(٤٥) جلال أمين، «العولمة والدولة،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٠، العدد ٢٢٨ (شباط/فبراير ١٩٩٨)، ص ٣٦.

ـ إنشاء هيئة محلية مرتبطة بهيئة عربية عليا هدفها دعم البحث والتطوير واستقطاب التقنية المناسبة.

ـ وقف نزيف العقول العربية من خلال هجرتها إلى الخارج.

ـ تكوين قاعدة بيانات لخدمة النشاط الاقتصادي العربي.

ب ـ **مشروع محمد عابد الجابري**، ملخصه:

الأطروحة الأولى: ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، بل ثقافات.

الأطروحة الثانية: الهوية الثقافية مستويات ثلاثة: فردية، وجمعوية، ووطنية قومية، والعلاقة بين هذه المستويات تتحدد أساساً بنوع الآخر الذي تواجهه.

الأطروحة الثالثة: لا تكتمل الهوية الثقافية إلا إذا كانت مرجعيتها إجماع الوطن والأمة والدولة.

الأطروحة الرابعة: ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي، بل هي أيضاً، وبالدرجة الأولى، ايديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم.

الأطروحة الخامسة: العولمة شيء والعالمية شيء آخر. العالمية تفتح على العالم، على الثقافات الأخرى، واحتفاظ بالخلاف الايديولوجي. أما العولمة فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الايديولوجي.

الأطروحة السادسة: ثقافة الاختراق تقوم على جملة أوهام هدفها التطبيع مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري.

الأطروحة السابعة: نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، ويدفع إلى التفتيت والتشبث، ليربط الناس بعالم اللاوطن واللاأمة واللادولة أو يغرقهم في أتون الحرب الأهلية.

الأطروحة الثامنة: العولمة وتكريس الثنائية والانشطار في الهوية والثقافة العربية.

الأطروحة التاسعة: إن تجديد الثقافة، أية ثقافة، لا يمكن أن يتم إلا من داخلها؛ بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها، والتماس وجوه للفهم والتأويل لمسارها تسمح بربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل.

الأطروحة العاشرة: إن حاجتنا إلى الدفاع عن هويتنا الثقافية بمستوياتها الثلاثة، لا تقل عن حاجتنا إلى اكتساب الأسس والأدوات التي لا بد منها لدخول عصر العلم والتقانة، وفي مقدمتها العقلانية والديمقراطية[٤٦].

---

(٤٦) حول تفاصيل هذا المشروع، انظر: محمد عابد الجابري، «العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات»، **المستقبل العربي**، السنة ٢٠، العدد ٢٢٨ (شباط/فبراير ١٩٩٨)، ص ١٤ ـ ٢٢.

ج ـ **مشروع محمد الأطرش القومي**، محاوره:

(١) إقامة منظومة أمنية إقليمية عربية.

(٢) إنشاء سوق عربية مشتركة، تستند إلى:

ـ الهوية العربية والانتماء القومي.

ـ ضرورات دعم الأمن القومي العربي.

ـ المصلحة الاقتصادية المشتركة.

(٣) التنمية العادلة والمستقلة.

(٤) انتشار الديمقراطية[٤٧].

لمواجهة العولمة لا بد من إقامة منظومة أمنية إقليمية عربية، وإنشاء سوق عربية مشتركة تستند إلى الهوية العربية والانتماء القومي وإلى ضرورات دعم الأمن القومي العربي!

د ـ **مقترح لي كوان يو**، الذي ذكره هانتنغتون، على الرغم من أنه مقترح عالمي، إلا أننا نذكره، باعتباره واحداً من أنواع البدائل للعولمة الحالية التي تقودها أمريكا. فاقتراح لي كوان يو، عام ١٩٩٤، عبارة عن ملاحظة هي أن حجم الإزاحة الذي أحدثته الصين في العالم يصل إلى درجة يكون على العالم معها أن يجد توازناً جديداً في خلال ٣٠ أو ٤٠ سنة. ولا يمكن أن ندّعي بأن الصين هي مجرد لاعب كبير، بل يمكن القول إنها أكبر لاعب في تاريخ الإنسانية. ويتوقع هانتنغتون بأنه إذا استمر النمو الاقتصادي الصيني عقداً آخر ـ وهذا يبدو ممكناً ـ ولو حققت الصين وحدتها خلال الفترة التالية، وهذا يبدو محتملاً ـ سيكون على دول شرق آسيا والعالم أن تستجيب لدور هذا اللاعب الأكبر في التاريخ الإنساني، والذي يزداد تأكيداً[٤٨].

نتائج البحث

١ ـ على العرب الآن، العمل من أجل الاستفادة من العولمة وأخذ ما هو إيجابي منها وترك ما هو سلبي، وأن لا يجعلوا من الصراع مع أمريكا وموقفها من الكيان الصهيوني، حالة تؤدي إلى ضياع فرصة الاستفادة من العولمة بهذه الذريعة أو تلك.

(٤٧) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: الأطرش، «العرب والعولمة: ما العمل؟،» ص ١١٠ ـ ١٢٣.

(٤٨) هانتنغتون، **صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي**، ص ٣٧٤.

٢ ـ إذا سلمنا بأن هناك عولمة على مستوى الاقتصاد أو السياسة أو الإعلام، فليست هناك عولمة حقيقية على مستوى انتقال قوة العمل البشري، فالقيود التي تمارسها الدول الرأسمالية والعراقيل التي تضعها أمام انتقال أو هجرة قوة العمل البشري، توحي بأنه لم تكن هناك عولمة على صعيد قوة العمل.

٣ ـ إن سبب تزعم الولايات المتحدة الأمريكية للعولمة، يعود إلى أنها أقوى دولة في العالم عسكرياً واقتصادياً... وأنها تسيطر على مجلس الأمن الدولي، وهي التي تدير عملية الصراع العربي ـ الصهيوني. أما عملتها، أي الدولار، فهي تمثل أكبر دور في الاحتياطات النقدية الدولية، والشركات الأمريكية هي الأكبر والأكثر في العالم مقارنة بأية دولة أخرى، ومنتجات شركاتها غزت أغلب أسواق العالم، فضلاً عن انتشار ما تنتجه على صعيد الإعلام.. لكن ميزة أمريكا «لم تعد تكمن اليوم في سعة السوق الوطنية أو في ما لديها من علماء جهابذة، بل صارت تكمن في رخص الأيدي العاملة»[٤٩]. ويعتقد غارودي بأننا نعيش عهد تعفن التاريخ المتميز بالهيمنة التقنية والعسكرية الساحقة للإمبريالية التي لا تحمل أي مشروع إنساني قادر على أن يمنح معنى للحياة والتاريخ. ويعتمد غارودي على إحصائيات الشرطة الأمريكية، ليقول إنه في نيويورك يتم اغتصاب امرأة كل ثلاث ساعات، ويقتل شخص كل ساعتين، ويقع اعتداء كل ثلاثين ثانية، وتمتلك أمريكا الرقم القياسي لانتحار الأحداث، وكذلك الجريمة، وتعد عشرين مليوناً لمتعاطي المخدرات. هذا هو نمط الحياة الأمريكي لمدعي التهذيب الأخلاقي.

٤ ـ نتفق تماماً مع هانز ـ بيتر مارتين وهارالد شومان، في استنتاجهما المبني على أساس أن «الزعم القائل بأن أمريكا تساعد باقي العالم على حل مشاكله حباً في الخير لوجه الله لا غير، هو زعم باطل أصلاً. فبغض النظر عن كل ما بينها من اختلافات، لا تحقق حكومات الولايات المتحدة الأمريكية، منذ قديم الزمان، إلا ما تراه يخدم مصلحتها القومية. فما دام يتعين مكافحة امبراطورية الشر في الشرق (أي الاتحاد السوفياتي) كان من المصلحة العامة أن يعم الرخاء والاستقرار أوروبا الغربية أيضاً، كواجهة حسنة للرأسمالية ودليل أكيد على إخفاق الشيوعية. إلا أن حاجة واشنطن إلى أوروبا انتفت الآن»[٥٠].

٥ ـ يتحدث الأمريكان ومعهم الكثيرون عن المساواة، ويعدونها سمة من السمات التي يتمتع بها المجتمع الأمريكي والتي تنادي بها الإدارة الأمريكية، وينطلقون منها إلى مفهوم الحرية، معتمدين في ذلك على إعلان الاستقلال الأمريكي الذي تضمن أن «كل الناس خلقوا متساوين»، واعتمدوا في ذلك على هوبس ولوك، لكن علينا أن نفهم ما هي هذه المساواة. فالمساواة عند هوبس هي «أن الناس متساوون لأنهم قادرون على قتل بعضهم البعض»، وعند لوك المساواة في القدرات، لكنه قال بأن الأطفال ليسوا مساوين لآبائهم، وهكذا يمكنهم القول بأن مفهوم المساواة يبدو للناس وهو شعار براق يروق

---

(٤٩) مارتين وشومان، **فخ العولمة: الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية**، ص ٢١٥.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

لهم ويدافعون عنه، لكنه في حقيقة أمره غير هذه الصورة البسيطة التي نراها من خلال النص، والمبنية على تفسيرنا لهذا المفهوم وفقاً لقيمنا، لكن المساواة عند الأمريكان هي مثل ما يراه هوبس تماماً، فهم حتى المساواة في الدين المسيحي يفسرونها على أنها «مقامة على حقيقة أن كل الناس منحوا بتساو مقدرة واحدة بعينها، وهي القدرة على الاختيار الأخلاقي، فكل الناس بإمكانهم قبول الله أو رفضه، كما بإمكانهم أن يصنعوا خيراً أو شراً»(٥١).

٦ ـ إن انتشار نزعة الليبرالية المحدثة، رافقها، بل نتج منها، أو كردة فعل لها، تأسيس النظم الاستبدادية، مثلما حصل في نيوزيلندا (في حركة نيوزيلندا أولاً)، واستراليا، إذ ان حكومتها اتخذت إجراءات تقشف وقوانين عمل غاية في القساوة. وفي السويد، إذ أصبح عدد المعادين للأجانب في تزايد مستمر، وكذلك الحال في سويسرا وإيطاليا وفرنسا وبلجيكا(٥٢)، وأن «النمور الآسيوية عاشت تجربة النمو الاقتصادي في ظل دكتاتوري مستبد، لم تتخلص منه إلا كوريا الجنوبية في التسعينيات»(٥٣)، وفي رأيي الشخصي أنه حتى أمريكا التي تدعي الديمقراطية، تعيش حكماً دكتاتورياً مبنياً على دكتاتورية الرأسمالية المتمثلة بأصحاب الأعمال والتجار والشركات، فضلاً عن سيطرة اللوبي الصهيوني الذي يمثل أقلية تافهة مقارنة بحجم المجتمع الأمريكي، لكنه هو الذي يقود السياسة الأمريكية.

٧ ـ لم تحرز حقوق الإنسان والديمقراطية التي ينادي بها الغرب منذ عام ١٩٩٥ ولحد الآن، ذلك النجاح الذي تتمناه الشعوب، بل ان «جميع الدول غير الغربية تقريباً كانت تقاوم ذلك الضغط الغربي، من بينها دول هندوسية وأرثوذكسية وأفريقية، وإلى حد ما من أمريكا اللاتينية. وأكبر مقاومة لجهود التحول الديمقراطي الغربي جاءت من الإسلام ومن آسيا. وكانت هذه المقاومة عميقة الجذور في الحركات العريضة للتوكيد الثقافي المتجسد في الصحوة الإسلامية والإصرار الآسيوي»(٥٤).

٨ ـ نحن مع هانتنغتون في انتقاده للحكام والقادة السياسيين الذين يعتقدون بإمكانهم إعادة تشكيل مجتمعاتهم من الأساس، بالاعتماد على إدخال عناصر من الثقافة الغربية، فإنهم يخفقون لأنهم لا يستطيعون كبح عناصر ثقافتهم الأصلية، فهو يرى، (أي هانتنغتون) بأن «الفيروس الغربي بمجرد أن يسكن مجتمعاً آخر، يصبح من الصعب استئصاله. الفيروس يبقى، ولكنه غير قاتل، يظل المريض على قيد الحياة، ولكنه يبقى مريضاً»(٥٥). فضلاً عن ذلك فهو ينتقد الغرب، لأنه لم يتعظ من نصائح مفكريه، فتوينبي يحذر من ضيق أفق الغرب ونظرته حول تمركز الذات، وأن العالم يدور حوله،

---

(٥١) فرانسيس فوكوياما، **نهاية التاريخ**، ترجمة حسين الشيخ (بيروت: دار العلوم العربية، ١٩٩٣).

(٥٢) مارتين وشومان، المصدر نفسه، ص ٣١٨.

(٥٣) عبد الله، «العرب والعولمة: العولمة والاقتصاد والتنمية العربية (العرب والكوكبة)،» ص ٣٧٥.

(٥٤) هانتنغتون، **صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي**، ص ٣١٠.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٣٥٢.

وأن الشرق ثابت، والتقدم حتمي، أما اشبنغلر فإنه لم يجد فائدة في افتراض وحدة التاريخ، أي أن هناك حضارة واحدة، هي حضارة الغرب والآخرين روافد لها، أو يضيعون في رمال الصحراء. وبرودل يدعو إلى فهم الصراعات الثقافية الكبرى في العالم وتعدد حضاراته. على الرغم من كل هذا، فإن الغرب في نهاية القرن العشرين، يقع في وهم بأن حضارته هي الحضارة العالمية اليوم(٥٦).

٩ ـ على الرغم من ارتباط العولمة الآن بالولايات المتحدة الأمريكية، واستغلالها لصالحها، فإن من المتوقع أن تستقل ظاهرة العولمة تدريجياً عن الهيمنة الأمريكية. وبدلاً من أن تكون العولمة شكلاً من أشكال الأمركة العالمية تتحول إلى ظاهرة مستقلة تسيطر على العالم.

١٠ ـ يكتب أصحاب عقيدة السوق من أهل الغرب وفقاً لأساسهم الفلسفي الداروينى «أن من لا يستطيع تدبير طعامه بجهده لا يستحق أن يعيش. ويضيفون أن تقدم البشرية خلال آلاف السنين كان عبر اختفاء المجتمعات والحضارات الأضعف وبفضل غلبة أهل العزم والقدرة والإبداع. ويذهب بعضهم إلى حد القول إن مساعدة من يعجزون عن تدبير غذائهم تجعلهم عبئاً ثقيلاً يعطل تقدم القادرين على غزو كواكب مجاورة للأرض»(٥٧)، وأن «من لا يقدر على المنافسة على الأسواق عليه أن ينزوي إلى متاحف التاريخ، ولا مكان للأقزام بجانب الكبار»(٥٨) □

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٩٢.
(٥٧) عبد الله، المصدر نفسه، ص ٣٧٥.
(٥٨) حنفي، «الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية،» ص ٢٤٨.